

نحو مهارات الوفاق بين الزوجين

مواصفات الأسرة الناجحة

د. لطيفة الكندري مديرة مركز الطفولة والأمومة

الأسرة في الإسلام مودة وسكن ورحمة وتكافل اجتماعي وتواصل نفسي وهو أيضا ميثاق غليظ يجمع طرفين كي يكونا قرة عين. تتصف الأسرة الناجحة بالعديد من الصفات منها:

1. الاحترام المتبادل والرحمة الفيضة. { وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ } (الروم: 21).

2. الحوار الإيجابي والتشاور المستمر. قال تعالى: { وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ } (الشورى: 38).

3. تقوى الله والتقيد بحدوده. قال تعالى في بداية سورة الطلاق "وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ لَا تَدْرِي لَعَلَّ اللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْرًا".

4. تحمل المسؤولية والتقيد بالواجبات والحقوق. ورد في الحديث الشريف "كُلُّكُمْ رَاعٍ وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ الْإِمَامُ رَاعٍ وَمَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ وَالرَّجُلُ رَاعٍ فِي أَهْلِهِ وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ وَالْمَرْأَةُ رَاعِيَةٌ فِي بَيْتِ زَوْجِهَا وَمَسْئُولَةٌ عَنْ رَعِيَّتِهَا" (رواه البخاري).

5. الاتصاف بالخيرية وحسن المعاشرة فعن عائشة، قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "خَيْرُكُمْ خَيْرُكُمْ لِأَهْلِهِ، وَأَنَا خَيْرُكُمْ لِأَهْلِي" (رواه الترمذي) وورد في المثل "الخيرُ أبقى وَإِنْ طَالَ الزَّمَانُ بِهِ". ومن مقتضيات حسن المعاشرة التلطف بالقول والفعل وسعة الصدر والمدارة والمزاح والصبر والشكر.

6. ممارسة آداب المتعلم والعالم فالسيرة النبوية تشهد على أن أسرته كانت تعيش العلم آناء الليل وأطراف النهار.

الاقتداء بهدي النبي صلى الله عليه وسلم. قال تعالى { لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا } (الأحزاب : 21). وتذكر كتب السيرة باستفاضة صور الوفاء بين الزوجين وفي حسن المعاشرة والوفاء ففي السيرة النبوية أنه كان دائم الذكر لزوجته خديجة ... وعن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت: "جاءت عجوز إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت: كيف أنتم كيف حالكم كيف كنتم بعدنا، قالت بخير بأبي أنت وأمي يا رسول الله. فلما خرجت قلت يا رسول الله تقبل على هذه العجوز هذا الإقبال فقال: يا عائشة إنها كانت تأتينا زمان خديجة وإن حسن العهد من الإيمان." وعلى مثل هذه الشمائل الكريمة يصبح المجتمع كالبنين الواحد في تماسكه. وعن بره صلى الله عليه وسلم بزوجه أنه ذبح شاة ثم قطعها أعضاء ثم بعثها إلى

صدائق خديجة أي أصدقائها من باب حفظ العهدما رغم أن خديجة زالت الوجود ولكنه الوفاء بلا حدود. إذا كان هذا وفاء النبي صلى الله عليه وسلم مع خديجة بعد وفاتها فكيف كان لها في حياتها؟

الحب بعد الزواج

الحب سعادة والسعادة تنبع من القلب . يقول الكاتب الفرنسي برناردين دي سن بيير "إن السعادة ينبوع يتفجر من القلب، لا غيث يهطل من السماء" ويقول تومس الأكويني (ت 1274 م) " لا سبيل لتحقيق السعادة إلا عن طريق تقوى الله".

ومعرفة الإنسان لحقيقة ذاته شيء إذا آسناه وصاحبناه وسامرناه انطلقنا يقينا إلى النجاح والسعادة, وإلى القدرة على معرفة الآخرين والتعايش معهم؛ فالإنسان الملم بحقيقة ذاته - المليئة بالجواهر النفيسة - يكون دائما قادرا على خلق فرص الحياة المناسبة لنفسه, ويكون أكثر إيجابية في التعامل مع الآخرين.

كل إنسان عالم لوحده وقلوب النساء تحمل مشاعر فياضة وكذلك الرجال ولكل طريقته في التعبير وإظهار الود. الحب كلمة يتلفظ بها كل إنسان سواء الرجل أم المرأة فكلنا نحب إن الرجل يجب شأنه شأن المرأة ولكن أحيانا تشكل بعض العادات والتقاليد والأعراف نفسيات الأجيال فتصف الرجل بأن حبه ضئيل والمرأة حبه كبير أو العكس ولكن كلنا بشر ونمتلك تلك المشاعر قد تزداد أحيانا وقد تنقص حيناً آخر. قد لا نجد أحيانا طرائق إظهار الحب بصورة صحيحة وقد لا نجد الكلمات المناسبة لوصف أحاسيسنا فتغيب الأحرف ولا تسعفنا البلاغة ولكن لغة الحب أوسع من نطاق الكلمات والعبارات فهي لغة عالمية وفطرية ذات رموز ودلالات ومضامين متجددة لا سقف لها.

إن الحب بكل أوصافه ومعانيه هو توافق بين الأخلاء، وإخلاص في العطاء، وشكر في السراء، وصبر في الضراء.

يكتشف الزوجان في تجربتهما العملية أن الحياة الواقعية تتطلب المزيد من التضحيات وبذل متواصل لفهم الطرف الآخر وقبوله والتكيف الإيجابي معه. والخبرة العملية تزيد المحبة وتعمق الجذور وبداية كل مشروع تكون الآمال كبيرة والخبرات قليلة وقد تختلف المقاييس ولكنها لا تتناقض فالحب العذري العفيف ينمو ويزدهر مع الزواج وفي الحديث الصحيح " لم ير للمتحابين مثل النكاح".

إن الطيش يجعل قلة من الشباب يتصورون الحب على أنه انفعال ونزعة للتقبيل والعناق وعشق للحسد واللذة المادية... ولكن الحقيقة أشمل وأكمل إذ أن الحب مسئولية وعطاء ووفاء

وبناء وتوافق في لغة الحوار والمعايشة . الزواج رغم كل المكدرات الدنيوية واحة للتسامح
ومساحة للنمو وعهد على تكوين أسرة صالحة. والحب أيضا عفة وضوابط وآداب والحب
يستلزم الزواج ويبدأ في رحابه ويتغذى من رحيقه.

إن فترة الزواج فترة إعجاب وبداية تحمل مسئولية وحصيلة هائلة من الأحلام تفيض على
النفوس وفي سفينة الزواج تعلق أشرعة المودة والرحمة والسكن ولا بد أن تهب رياح المصاعب
وتتقلب المشاعر ولكن الميثاق الغليظ بين الزوجين أعظم من كل التحديات والحب صمام الأمان
للزوجين.

الزواج مدرسة للمحبين فيها نتعلم جميعا أن المحب لمن يحب مطيع ... يتجاوز عن هناته
ويتفانى في الوفاء بحقه فلا يطغى ولا يستبد ولقد صدق أمير الشعراء عندما قال:
وَمَا الْحُبُّ إِلَّا طَاعَةٌ وَتَجَاوُزٌ وَإِنْ أَكْثَرُوا أَوْصَافَهُ وَالْمَعَانِيَا
والحب بعد ذلك كله رفق في التعامل ونبل في الاختلاف فإن معالجة الأمور بالرفق سبيل التوافق
في الحياة الزوجية الكريمة فالتهديد لا يجدي أبدا، والوعيد لا ينفع أحداً.
والحب في حقيقته شوق لا يذبل ونجم لا يأفل.

قال الشاعر السوداني الهادي آدم:

هذه الدنيا كتاب أنت فيه الفكر

هذه الدنيا وصال أنت فيها العمر

هذه الدنيا عيون أنت فيها البصر

هذه الدنيا سماء أنت فيها القمر

فارحم القلب الذي يهفو إليك فغدا تملكه بين يديك

وغدا تأتلق الجنة أنهارا و ظلا، وغدا ننسى فلا نأسى على ماض تولى

وغدا نسمو فلا نعرف للغيب محلا، وغدا للحاضر الزاهر نجيا ليس إلا

قد يكون الغيب حلوا، إنما الحاضر أحلى

أغدا ألقاك

مهارات زوجية

إن الرقي في معاملة المرأة والرجل دليل عظمة التدين وعلامة للتحضر. قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -: "دِينَارٌ أَنْفَقْتُهُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَدِينَارٌ أَنْفَقْتُهُ فِي رَقَبَةٍ، وَدِينَارٌ تَصَدَّقْتَ بِهِ عَلَى مِسْكِينٍ، وَدِينَارٌ أَنْفَقْتُهُ عَلَى أَهْلِكَ، أَعْظَمُهَا أَجْرًا الَّذِي أَنْفَقْتُهُ عَلَى أَهْلِكَ." (رواه مسلم).

للحياة الزوجية مهارات تستحق المذاكرة وبسط القول فيها، فالزواج من آيات الله الجليلة وتجديد الحديث عن هذه النعمة العظيمة وسيلة لتهديب النفس، وإعمال العقل، وتنمية المجتمع. قال تعالى " وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ" (الروم الآية 21). إن كلمة الزوجين تؤكد التلازم والمشاركة بين شقين لا يستغني واحد منهما عن الآخر فالبركة في الزوج والزوجة وكلما زاد الاتفاق، حصل الوفاق وصلحت الرفقة، وطابت الحياة لقول الحق سبحانه "مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ" (النحل الآية 97).

إن الكاتبين عن التوافق بين الزوجين أسهبوا في الحديث عن تفعيل التوافق الجنسي وهو أمر هام بلا شك، وهناك توافق ثقافي وانسجام فكري لا يقل أهمية عن سائر الجوانب فإن لذة التعلم والتعليم داخل نطاق الأسرة لذة عظيمة نحتاج إليها في كل مراحل العمر لنعرف ونستثمر القاسم المشترك كما ندرك مساحات الاختلاف فنحترم التميز والكل يعمل على شاكلته ومنهاجه ليثري شريكه. لقد كتبت في رسالتي الدكتوراه عن أهمية علاقة العالم والمتعلم داخل منظومة الأسرة من منظور الفكر التربوي الإسلامي ثم واصلت الكتابة عن آفاق المتعة الثقافية في مناسبات عديدة لأنني أعتقد أن المعرفة نعمة تعزز حياتنا وتمدها بالضياء فالعلم نور يعمق الصلات الوثيقة ويقوي العلاقات الحميمة بين شريكي الحياة.

الوفاق غاية يطمح إليها كل من الزوجين ولا يحصل الوفاق إلا بتواضع النفس بحثاً عن الصواب والخضوع له دون تردد، وفي هذا المقال محاولة لتلمس بعض العوامل المساعدة على تحقيق المزيد من التوافق بين الزوجين:

1. الإيمان بأن الحياة الزوجية - رغم كل تحدياتها - تستلزم المودة والرحمة والسكن وكلها مكونات أساسية للسعادة الزوجية ويمكن التفكير فيها، والتوصل إليها، والتدرب عليها، واستجلاء حقيقتها بالتعلم والممارسة. لا توجد عائلة لا تستطيع

- أن تحقق الحد الأدنى من الوفاق النفسي والفكري والاجتماعي ولكم هناك عوائل لا تريد أن تبذل الأسباب أو لا تعرف كيف تحقق الأهداف.
2. البحث عن نقاط الاتفاق واستكشاف جوانب التشابه بين الزوجين من أجل تنميتها والتمتع بمزاياها من أهم الأمور التي تستحق العناية الدائمة لإيجاد أجواء التضامن.
3. إن انتقاء العبارات الايجابية قولاً وكتابة واجتناب البرمجة السلبية لا سيما في أول الصباح وآخر المساء من أنفع الطرائق العملية لزرع أشجار المحبة، وأزهار المودة. إن صفة الصلاح تتجلي في التأني في اختيار الألفاظ وفحص المعاني وقديماً جاء في وصف الصالحين أنهم يَنْتَفُونَ جَيِّدَ الْكَلَامِ، كَمَا يُنْتَقَى أَطَايِبُ الثَّمَرِ.
4. تحديد آليات تقلص الشقاق وتوصل الوفاق كأن نروي قصصاً عن النجاح الأسري فنناقشها فنوسع رؤيتنا ونثري خبراتنا فنقتدي بالنافع ... وكذلك لا بد أن يتفق الزوجان على معالجة المشكلات دون صراخ وإهانة تزيد هوة الشقاق وتشعل تشنجات عاطفية ومبالغات بلاغية تظهر في عبارات تلغي الايجابيات، وتحصي السلبيات، وتحى قضايا منسية لا صلة لها بالنزاع. ومن جهة فإن معالجة مشاكلنا أمام أطفالنا أو أقاربنا بطريقة سلبية، توسع دائرة الضرر وتضعف نسيجنا الأسري، وتؤدي إلى المزيد من اضطراب العلاقات بين الزوجين.
5. لا يمكن التخلص تماماً من التحديات ، وتكمن الحكمة في كيفية الاستفادة من أخطائنا فنقللها ونحذر من الكبر والإهمال والإصرار على الأخطاء لأنها من أشد الآفات التي تهددنا ولا يمكن مواجهتها إلا بسلامة الصدر وقبول الطرف الآخر والبحث المخلص عن الصواب أينما كان.
6. لوم النفس مقدم على لوم ونقد الطرف الآخر فالحكيم يعلم أن النفس أمانة بالسوء، وقابلة للزلل، ودائمة الاحتياج للمراجعة.
7. الهروب من الواقع سلاح الضعيف العاجز أما مواجهة القدر والتعامل معه بصبر وحلم وإعمال عقل.
8. يقتضي الرفق في التعامل أن لا نكلف طرفاً واحداً مسؤوليات أكثر من طاقته.
9. لا تتخذ قراراً متسرعاً وأنت غاضب فتضيع نعمة لا تستطيع ردها أبداً. تواضع وضع نفسك مكان شريكك كي تشعر بمشاعره وتقدر مواقفه فلا تسفه أو تنسف الآراء ولكن افهم واسأل وقدر ثم عبر عن وجهة نظرك بموضوعية. يقول أحد الأزواج وهو يلخص سر نجاحه في حل الأزمات بأنه لا يفرض رأيه ولو كان

صحيحاً ولكنه يعيد النفوس إلى هدوئها ثم يعرض كل منهما رأيه وغالباً ما يتقدم المقصر بالاعتذار طواعية.

قال العرجي:

"وإذا غضبت فكن وقوراً كاظماً للغيظ تبصر ما تقول وتسمع" وقال العسقلاني "أعظم ما ينشأ عنه الغضب الكبر لكونه يقع عند مخالفة أمر يريده فيحمله الكبر على الغضب، فالذي يتواضع حتى يذهب عنه عزة النفس يسلم من شر الغضب... ويعين على ترك الغضب استحضار ما جاء في كظم الغيظ من الفضل، وما جاء في عاقبة ثمرة الغضب من الوعيد، وأن يستعيد من الشيطان، وأن يتوضأ" (بتصرف واختصار).

10. مواصلة الدعاء الصالح بصفة منتظمة فالمرء قد يبذل كل الأسباب الدنيوية

المادية المتاحة ثم يغفل أو يتكاسل عن استخدام سلاح المؤمن وحصنه الأمين: الدعاء. إن شعار التوافق لا يتحقق إلا بدوام ترديد هذه الكلمات الرائعة "وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا" (الفرقان ، الآية 74). هذه الكلمات تحتوي على مضامين ضخمة، ومفاهيم هامة من مثل التفكير في الأهداف الكبرى في تعمير الأرض، والتمتع بالخيرات، وإقرار بأن القلوب بيد الله وحده فهو واهب النعم ومعيدها ، ومبيد النقم وقاهرها.

11. تصاب النفس بالملل والسأم فلا بد من تجديد الملاحظة بين الزوجين والتفنن

في إدخال السرور على القلوب كلما سنحت الفرصة فالهدايا السخية، واللمسة الحانية، والعبارات الرقيقة لها سحر يستقر في أعمال القلوب إن كانت صادقة.

12. الزوج لا يكره زوجته أبداً إن كرهه منها خُلُقاً رَضِيَ مِنْهَا آخَرَ وكذلك

الزوجة لا تكره زوجها أبداً إن كرهته مِنْهُ خُلُقاً رَضِيَتْ مِنْهُ آخَرَ وعلى ضوء هذه القاعدة النبوية الجليلة وأمثالها تسير مسيرتنا الأسرية وتصبحها نساء السعادة.

13. جلسات المصارحة هي جلسات يتفق الزوجان عليها من حين لآخر في

مكان هادئ لتقييم المسيرة، والتعبير عن الرأي، والتناقش في الأمور بكل شفافية.

هذه الجلسة الحوارية في غاية الأهمية إذا كانت مبنية على دعائم التواضع، والاعتراف بالتقصير، وقبول الاعتذار، والاسترشاد المشترك. أعتقد أن هذه

الجلسات لا تنتهي فهي محطات للراحة والتأمل قد تكن محرجة ولكنها من لوازم

المهارات الحياتية التي تنظم خطواتنا وتسد الخلل. الجلسة الحوارية لا يقصد منها

تصيد الأخطاء بل تقييم موضوعي لمجريات الحياة وطرائق الأداء والتعبير عن

الإيجابيات لتعزيزها ومناقشة التحديات لتقليصها. هذه الجلسة تشبه رحلة كشفية يصعد فيها الزوجان إلى قمة جبل للتنزه ولكي ينظر كل منهما نظرة فاحصة إلى أسفل الجبل وكيف أن الأشياء الكبيرة والمشكلات الضاغطة في وعينا وإحساسنا قد تكون مجرد صغائر نصر على تكبيرها ونجهل حقيقتها. الهدف من الجلسة الحوارية تكوين رؤى جديدة مليئة بالتفاؤل والتعاهد على بذل المزيد من الجهود.

عزيزي الزوج وعزيزتي الزوجة ... إن الوفاق دليل على صدق الميثاق بين الزوجين في السراء والضراء والوفاق وفاء يتسع نطاقه بقبول العثرات مع تصويب لها. إن السعادة الزوجية مجاهدة مستمرة وهي سنة حياة تتطلب التسامح والتعاون والمراجعة الصادقة لمشاعرنا وحركاتنا وصولاً لحياة كريمة.

اتكالية أحد الزوجين

اتكالية أحد الزوجين على الطرف الآخر هل يرجع لأسباب تربوية أم أنها نوع من الأنانية ومرض نفسي وهل تستقيم أسرة يتواكل فيها زوج أو زوجة ويترك أعباءه على الطرف الآخر؟

ظاهرة الاتكالية وعدم التعاون فيما بين الزوجين في تربية الأبناء ظاهرة خطيرة على الأسرة والمجتمع قد لا تظهر عواقبها إلا بعدة فترة من الزمن حينما يزداد الضغط وتضعف القوة، فلا يستطيع أحد الطرفين تحمل أعباء تخريج النشء لأن المسؤولية تقع على عاتق الوالدين كما قال النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح " كُلُّكُمْ رَاعٍ وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ وَالْأَمِيرُ رَاعٍ وَالرَّجُلُ رَاعٍ عَلَى أَهْلِ بَيْتِهِ وَالْمَرْأَةُ رَاعِيَةٌ عَلَى بَيْتِ زَوْجِهَا وَوَلَدُهُ فَكُلُّكُمْ رَاعٍ وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ". إن الاتكالية وعدم الشعور بالمسؤولية من أسباب تدهور بعض سلوكياتنا في مساحات كثيرة من حياتنا الأسرية والمجتمعية. توضح النقاط التالية بعض التوجيهات في موضوع مواجهة الاتكالية:

- تحديد الأهداف الحالية والمستقبلية.
- توزيع المهام والمسئوليات المحددة لكل فرد على حسب طاقاته واختياراته.
- تشجيع العمل التعاوني كفريق واحد لكي تخرج الأسرة من النظرة الفردية إلى الجماعية.

- التنظيم والتخطيط وعدم العشوائية في اتخاذ القرارات.
- التقييم والمتابعة السليمة للإنجازات الأسرية.

دور الأسرة في تكوين شخصية الأبناء

تشكل الأسرة اللبنة الأولى في تكوين الشخصية الإنسانية وتحمل على كاهلها مسئولية رعاية الأفراد وتبصيرهم بالبيئة من حولهم وتدريبهم على وظائفهم الاجتماعية في جميع المراحل العمرية لا سيما مرحلة الطفولة والشباب فيعي الفرد، ذاته ويفي بواجباته، ويحقق طموحاته وإنسانيته. الأسرة هي التي تعمل على إذكاء روح الحوار والبحث والأخلاق الكريمة في نفوس الناشئة وتعظم في نفوسهم الشعائر الدينية وتوفر البيئة الصالحة القادرة على دعم الناشئ كي يؤدي رسالته في الحياة على أكمل وجه .

ومن الجدير بالاهتمام أن تراجعاً عجيباً بدأ يصيب نصيب الأسرة في نشئة الناشئة حيث بدأ يتقلص دورها بصورة ملحوظة ومتفرقة ومخيفة. وإذا كانت الأم تتعهد برعاية الطفل بشكل شامل في سنواته الأولى فإن التحاق الأمهات اليوم بمقار أعمالهم ودخول المربيات إلى البيوت لتفادي النقص أحدث تغيرات دراماتيكية في المشهد العائلي فما عادت التنشئة الاجتماعية خاضعة تماماً لسلطان الأسرة بل ولا حتى الدولة نفسها حيث أصبحت المحطات الفضائية تزاحم مراكز التنشئة وقد تتفوق عليها أحياناً من حيث التأثير وقدرة الاستقطاب والإقناع والتوجيه والإرشاد مما قد يولد بيئة فاسدة وثقافة مشوهة. استناداً إلى ما سبق فالأسرة اليوم بحاجة حقيقية لتجديد آلياتها لمواجهة ومواكبة المستجدات بحيث تصبح لتوجيهات الأسرة اليد العليا أملاً في ضبط الواقع وتقليص سلبيات الفضائيات وسائر التحديات. وتظل الأسرة البوابة الحقيقية لتعليم وممارسة المواطنة الفاعلة.

ومن وظائف الأسرة ما يلي:

- الاعتناء بالنمو البدني والعقلي والاجتماعي والنفسي.
- غرس المعتقد والدين.
- رسم المسارات المستقبلية للناشئة.
- تغذية المشاعر الإنسانية النبيلة وتحقيق الانتماء والحب.
- مد يد العون لمساعدة الفرد في مواجهة المحن.
- الدعم الاقتصادي.
- التكافل الاجتماعي.

الطلاق

إن أبغض الحلال عند الله تعالى الطلاق. وقد يقع الطلاق والفراق بين الزوجين لأسباب مقنعة ولكن قد تكون بعض الحالات نتيجة لساعات غضب أو لخلافات خفيفة رسمت الجح الخانق المتأزم من المشاحنات العائلية، ولم يبادر أحد الزوجين في حلها منذ البداية فأصبحت كالران على القلوب حتى حدث الفراق والطلاق.

وقد يرجع أسباب ارتفاع نسبة الطلاق إلى النقاط التالية:

- قلة الوعي التربوي والثقافي عند المتزوجين حديثا.
- عدم التوافق الفكري والنفسي والاجتماعي بين الزوجين.
- عدم الالتزام كل من الزوج أو الزوجة بدوره ومسؤولياته داخل الأسرة.
- عدم تقدير الزوجين بعضهما البعض عند الحوار.
- غياب الصراحة.
- التلفظ بكلمة الطلاق مرارا قد تصبح سهلة التطبيق, لذا يجب على الإنسان إن لا يتلفظ بالكلمات السلبية حتى لا تصبح حقيقة. وقدما قالوا "البلاءُ مُوكَّلٌ بالمنطقِ" والظن الحسن أساس السعادة.
- غياب الأهداف الواضحة للحياة الزوجية.
- عدم الشعور بالمسئولية.
- الضغوط الاقتصادية (الأقساط...).

يهرب الرجل أحيانا من الشروط التي تضعها النساء أو من ينوب عنهن وهي شروط قريبة من التعجيز والصواب أن الحكمة تقتضي تسهيل الأمور ومراعاة الواقع. من المتفق عليه أن بعض الطلبات الخيالية تدفع الرجل مكرها إلى البحث عن امرأة قنوعة في ديار الغرب ولكن الزوجة الأجنبية قد تجر الرجل إلى تضحيات لا يستطيع الرجل القيام بها مستقبلا كالذي يسعى إلى حل مشكلة فيقع في مشكلة أكبر كالمستجير من الرمضاء بالنار. إن المبالغة مذمومة والتكلف والتصنع من أسباب عزوف الفتيان والفتيات عن الزواج. ينادي الإسلام بالعناية بالأخلاق والعلم والإيمان وكل أسرة تقوم على هذه الأركان فهي أسرة قوية والمهم أن نسهل ولا نعسر من شأن الزواج .

وإن وقع الطلاق - لا سمح الله - يجب ألا يقف الطلاق عائقاً في سبيل تكوين أحاسيس المودة والاحترام في قلوب الأبناء للوالدين.

المستوى الثقافي له دوره الكبير في تحسين مستوى المعيشة الأسرية وكما استنار الإنسان بعلمه النافع زاد نصيبه من تحقيق الجودة في نظام حياته وإذا كان البعض يصبر قديماً مضطراً فإن اليوم يصبر البعض مختاراً على سوء الحياة الزوجية ويعمل بحكمة على إصلاح الخلل دون اللجوء للطلاق. في السابق قد تكون الخيارات محدودة جداً وكانت القناعة وأحياناً الخضوع أساس الحياة أما اليوم فالحرية بدأت تشق طريقها رغم أن البعض لا يستخدمها بصورة لاثقة. وهنا أود أن أشير إلى أن المثقفة ليست بالضرورة هي التي تحصل على الشهادات العلمية لأن كثير من الناس يتم دراسته من أجل الحصول على الوظيفة أو الوصول إلى مكانة اجتماعية رفيعة مع أن الثقافة أسمى من ذلك بكثير لأنها تهذيب للسلوك الإنساني، وتشكيل صحيح للعادات الصحية، والفكرية، والاجتماعية... ومن هنا ندرك أن التعليم لا يحقق مقاصده النبيلة إذا تعامل الناس معه على أساس قاصر فالعلم الذي يفرق ولا يجمع ليس بعلم، والشهادات العلمية التي تجلب المشاجرات والشحناء بين الزوجين ليست ذات نفع. لا ريب أن العلم النافع يزيد الإنسان هداية وعدالة وسعادة في الأسرة والمجتمع فإن لم تتحقق تلك المقاصد الكبرى فلا بد من وجود خلل في نمط التعليم والتربية.

الأساسيات التربوية لمرحلة ما بعد الطلاق

تعتبر قضية الطلاق من القضايا الاجتماعية الكبرى والحساسة في هذا العصر وذات تأثير بالغ على كيان الأسرة عموماً ومستقبل الأطفال خصوصاً. إن معدلات الطلاق المخيفة تتزايد مع زيادة تعقيد متطلبات الحياة وانتشار أنماط معيشية جديدة ويترتب على ذلك زيادة عملية التثقيف لإعادة التأهيل الأسري داخلياً وخارجياً، نفسياً واجتماعياً بغرض التغلب على إفرازات ومضاعفات التصدعات الأسرية.

وقد يؤثر الطلاق سلباً على تربية الأطفال ويعوق عملية التنشئة النفسية والاجتماعية السليمة لديهم إذا لم تتم تسوية الأوضاع وفق ضوابط عادلة تراعي مصلحة جميع الأطراف فتوزع جميع المسؤوليات بما يتفق مع مصلحة الأسرة حاضراً ومستقبلاً.

يستطيع المطلق والمطلقة تقليل الآثار السلبية الناجمة من الطلاق منها عدم تبرير ما وقع ولوم طرف من الأطراف والتوقف عن تعبئة الطفل ضد والده أو والدته مع تخصيص المزيد من الوقت في رفقة الطفل والاستماع إليه وتبديد مخاوفه والمطلوب إشعاره بأنك ستكون بقربه ولن تفارقه.

قبل قدوم عاصفة الطلاق يمر الزوجان غالبا في فترة اتساع هوة الشقاق وتضعف ميكانيكيات الوفاق تدريجيا وهي مرحلة يطلق عليها البعض مرحلة الطلاق العاطفي (Emotional Divorce) بين الزوجين, ومن علامات هذه المرحلة فتور أو جفاف مشاعر الود بين الزوجين, وإهمال الأطفال من خلال التسوية في إشباع حاجاتهم والتفكير الآني المقرون بالغضب وعدم القدرة على ضبط الانفعالات مما يولد المزيد من التأزم في المناخ العائلي والتوتر والتهور وضعف السيطرة على التصرفات والمشاعر.

وفي مرحلة الطلاق قد تصاحب الحياة الاجتماعية تحديات ومشاكل اقتصادية ونفسية وتربوية تنعكس سلبا على الأطفال إذا لم تكن للوالدين رؤية تتعالى على الجراح وتقدم المصلحة العامة (مصلحة الأولاد) على المصلحة الخاصة (مصلحة كل زوج على حدة). تقتضي الحكمة عدم إهدار الطاقات عبر المشاحنات البغيضة التي تتخللها عبارات التشفي أو الانتقام عند وقوع الطلاق ولا يليق أبدا استغلال وضع الأطفال كورقة ضغط ومساومة لفرض رأي أو الحصول على مكاسب قانونية لأي طرف من الأطراف.

وفي مرحلة ما بعد الطلاق فيحدث - كما يسميه البعض - الطلاق النفسي (Psychological Divorce) وهذه المرحلة تتطلب من الوالدين والأطفال تكيفا جذريا وشاملا مع ظروف الحياة الجديدة. وقد يقتنع بعض الأبناء في هذه المرحلة من الطلاق على أن الزواج عموما تجربة قاسية, ولا يجب التفكير في الزواج في المستقبل بسبب انفصال أبويه.

لا يمكن حل جميع التحديات التي تواجه الأسرة في هذه الفترة العصبية ولكن يمكن للأبوين تقديم النافع لأطفالهم حتى يجتازوا هذه المرحلة بأخف الأضرار وهو أمر ممكن وهذه مرحلة انتقال من حال إلى حال ولا بد من مراعاة التدرج في تفهيم الأبناء طبيعة التغيير الذي سيلحق بكيان الأسرة.

إن من رحمة الله سبحانه وتعالى أن الإنسان يمتلك طاقات نفسية عظيمة يستطيع من خلالها أن يتكيف مع الظروف الجديدة فيتفنن في فتح مسارات تسع التغيرات، وتواكب التطورات ولهذا فإن النظرة التفاوضية دائما توجد المخارج المناسبة لتنتقل سفينة الأسرة رغم العقبات. إن الإنسان سريع التأقلم مع الجديد إذا حدد أهدافه، ونظم خطواته وعلم أن نسمات السعادة هبة من الله في قلوبنا وليست عند أحد من البشر مهما كان مقربا لنا.

تبين النقاط التالية بعض الاستراتيجيات لتخفيف الآثار الناجمة عن الطلاق:

1. ستر العيوب من أخلاقيات الفراق الجميل. يقول الحق تبارك وتعالى "وَلَا تَسْأَلُوا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ" (سورة البقرة: الآية: 237). قال أبو حامد الغزالي في الإحياء أن المطلوب من الزوج أن لا يفشى سر زوجته "لا في الطلاق ولا عند النكاح فقد ورد في إفشاء سر النساء في الخبر الصحيح وعيد عظيم حديث الوعيد في إفشاء سر المرأة رواه مسلم من حديث أبي سعيد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن أعظم الخيانة عند الله يوم القيامة الرجل يفضي إلى امرأته وتفضي إليه ثم يفشي سرها ويروى عن بعض الصالحين أنه أراد طلاق امرأة فقيل له ما الذي يريك فيها فقال **العاقل لا يهتك** ستر امرأته فلما طلقها قيل له لم طلقته فقال مالي ولا امرأة غيري" أي أهما أجنبية لا صلة لي بها وهذا الخلق يجب أن تتحلى به المرأة أيضا.
2. احترام الأبوين بعضهما البعض وخاصة أمام الأطفال خلق يكشف عن معدن أصيل يحتاج إليه الأطفال لسلامة البناء النفسي عندهم.
3. بيان القدر المشترك من أوجه الاتفاق مع التأكيد على هدف لا يمكن التنازل عنه وهو أن الطلاق لن يقلل من حبههم لأبنائهم وبناتهم ولن يمنع من بذل المستطاع لتوفير حياة كريمة.
4. عدم التقليل من شأن الأب أو الأم أثناء الزيارات العائلية.
5. إن تحسين نوعية الحياة الأسرية عملية مستمرة تتطلب تعاون الجميع وعملية تصفية الحسابات الشخصية من أشد المسائل الخطرة التي يجب الابتعاد عنها نهائيا لضمان تكيف سليم.
6. عدم التوقف في آلام الماضي والاكتفاء بالتذمر واللوم وجلد الذات فالطفل لا ذنب له ومن الظلم أن نحمله نتاج تجاربنا الماضية.
7. الاهتمام بالجانب النفسي والاجتماعي والاقتصادي للطفل.
8. متابعة الطفل دراسيا.
9. رؤية الطفل للأبوين بشكل منتظم والتواصل معهم بمودة.
10. غرس مفهوم الثقة بالمستقبل وقدرة الإنسان على التغلب على التحديات الاجتماعية وغيرها.
11. ومن الركائز العقلية التي يحتاج لها من يمر في مرحلة الطلاق الإدراك بأن سنن الحياة لا تخلو من الاختبارات وأن من أشكال البر بالوالدين إسدال الستار على خلافاتهم الماضية فالرياح قد تجري بما لا تشتهي السفن والطباع البشرية معرضة للاختلافات بدرجات وأنواع متفاوتة.
12. تحديد الأدوار والمسئوليات بين الأبوين بشكل واقعي ومرن.
13. مراعاة سن الطفل وعدم إرهاقه في فهم مصاعب الحياة وعقباتها.

14. توفير أكبر قدر من الدفء والحنان للطفل لتكوين رؤية متفائلة للحياة أساسها تحمل المسؤولية.

تقول د. لطيفة الكندري ولقد جلست أثناء تقديم الاستشارات الأسرية مع عدد من المطلقات استطعن بفضل الله سبحانه بناء حياة جديدة لهن من دون التفريط بحقوق أطفالهن وأفلحن في تكوين حياة سعيدة ومستقرة ومليئة بالحب رغم سلسلة العوائق التي تبرز من حين لآخر فتقل الإنتاجية أحيانا ولكن في نهاية المطاف لا تزيدهن إلا إصرارا واستبصارا . قال تعالى في سورة الطلاق "وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا" (الطلاق: 2) وأيضا "مَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا" (الطلاق: 4) وفي نفس السورة "سَيَجْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا" (الطلاق: 7).

ومن جهة أخرى استمعت لنسوة محبطات لا يعرفن إلا لغة التقاعس حتى خاصمن كلمة الطموح وأصبح تفكيرهن في أحداث وآهات وجراحات الأمس وهؤلاء يحتجن إلى جرعات من النشاط والثقة بقدراتهن في التكيف مع التغيرات الاجتماعية عبر معالجة الأمور بالحكمة لا الرثاء. وفي مثل هذه المواقف أحاول أن أسرد لهن قصص النجاح في مواجهة الشدائد وأوضح لهن أن عدم الخروج من دائرة الأحزان يجر الأطفال إلى حالة من الهزال النفسي، والتفكك الاجتماعي، والتشتت الفكري وهم بحاجة ملحة إلى عملية اندماج اجتماعي جديد.

ولأن الإسلام دين واقعي نجد القرآن يفرد للطلاق سورة كاملة... يذكر لنا التاريخ أن العديد من الصحابييات تطلقن ثم جاء اليسر بعد العسر بل النبي تزوج منهن فلم ينظر البعض للمطلقات نظرة قائمة!

هناك الكثير من قصص النجاح لأزواج وزوجات وقعوا في دائرة الطلاق ولكنهم نجحوا في إعمار حياتهم إما بإعادة بناء بيوتهم مرة أخرى مع الاستفادة من دروس الماضي أو ببناء بيوت جديدة المهم أنهم استفادوا من تحديات الأمس في مسيرتهم الجديدة وقاموا برعاية أطفالهم رعاية حسنة كريمة وهو الأمر الذي نسعى إليه دائما وفيه صلاح للأسرة بأكملها، وحماية للمجتمع بأسره ويحقق الرخاء على أسس تربوية قويمية تصون المصالح ، وتنمي الطاقات.

لا شك أن دور الوسائط التربوية عظيم في تقليص أو اتساع ظاهرة الطلاق فإذا لعبت تلك الوسائط (الأسرة والمدرسة والمسجد والإعلام...) دورا إيجابيا فإن حالات الطلاق وآثارها الجانبية تتقلص بشكل كبير وإلا فالأمر سيزداد تعقيدا.

إن الصحافة وغيرها من الوسائط كفيلا بتوعية الجماهير وبيان أسباب الطلاق والتفسير منه وتوجيه الأبناء نحو وسائل التكيف مع مجتمعهم بعد وقوع الطلاق في أسرهم. إن دور وسائط التربية إزاء ظاهرة الطلاق بيان حجم الظاهرة وأسبابها وطرق الوقاية منها وفتح الآفاق في رعاية وتربية

ضحايا الطلاق وتوضيح حدود الله فالإسلام أمر بحسن العشرة ونهى عن ذكر الصفات السيئة بعد الطلاق.

يحتاج الشباب إلى معرفة وضع الأهداف وتحمل المسؤولية وحسن الإدارة المالية وطرق حل المشكلات والاعتدال في استخدام التكنولوجيا الحديثة والتحصن بالعفة وهي متطلبات الزواج السعيد وهو الأمر الذي لا بد من غرسه عبر وسائط التربية كل على حسب تخصصه.